أخبار الخليج

العدد (١٦٩٧٣) - السنة التاسعة والأربعون - الأربعاء ٨ ربيع الأول ١٤٤٦هـ - ١١ سبتمبر ٢٠٢٤م

حقائق تكشفت على أعتاب عام من حرب الإبادة

بقلم:
د. مصطفى البرغوثي ○

ونحن نقترب من الذكرى السنوية الأولى للسابع من أكتوبر، وعلى أعتاب عام من حرب الإبادة الجماعية المستمرّة علىٰ قطاع غزّة، وتمتدّ أذرعها إلى الضفة الغربية أيضا، يبدو مهمّا الالتفات إلى ما تبلور في الشهور الماضية من حقائق صارت مؤكّدة.

أولا: إن أحداث يوم ٧ أكتوبر كانت نتيجة ولم تكن سببا. نتيجة ٧٦ عاماً من تطهير عرقي لـ ٧٠٪ من الشعب الفلسطيني و٥٧ عاماً من أطول احتلال في التاريخ الحديث، ولمنظومة أبارتهايد عنصرية فاقت في وحشيتها كل ما سبقها، ولحصار ظالم خنق قطاع غزة ١٧ عاماً من دونَ أن يلتفت العالم إلى معاناة أهله.

وما دامت مسبّبات ٧ أكتوبر قائمة، بل تعاظمت بمستوى الظلم الهائل الذي سببه جيش الاحتلال للشعب الفلسطيني في غزّة وسائر الأراضي المحتلة، فلن يكون المستقبل مشرقا لمن ظنوا أنهم قادرون على قهر إرادة الفلسطينيين.

ثانيا: أظهر أبناء الشعب الفلسطيني وبناته في قطاع غزّة وصنعوا صمودا بطوليا لا مثيل له في التاريخ البشري الحديث، رغم فداحة الظلم وشدّة الألم الذي يصعب حتى وصفه، وأفشلوا، بصمودهم ومقاومتهم الباسلة، الهدف المركزي للعدوان الإسرائيلي، وهو طردهم من وطنهم وتنفيذ التطهير العرقي ضدّهم للمرّة الثانية.

وقد كان للخبرة التاريخية لمعظم سكان غزّة، و٧٠٪ منهم من اللاجئين الذين طردوا من بلداتهم وقراهم عام ١٩٤٨، دور كبير في تعزيز إرادتهم على الصمود.

ثالثاً: انهارت على رمال غزّة وشواطئها قيم المجتمع الغربي وادّعاءاته حول القانون الدولي وحقوق الإنسان والديمقراطية، وانكشف حجم النفاق الغربي، عندما يتعلق الأمر بإسرائيل، ربيبة الغرب الاستعماري، وقاعدة مصالحه الاستراتيجية، كذلك فُضحت ازدواجية المعايير الغربية عند المقارنة بين المواقف في أوكرانيا وفلسطين.

وذلك أمرٌ ستكون له تداعياته على مجمل العلاقات الدولية، وكأن غزّة الصغيرة بحجمها، والكبيرة بقوة إرادتها، كشفت عُري العالم، ونهاية ما سمّي النظام الدولي الذي انبثق بعد الحرب العالمية الثانية. وللأسف، الرسالة التي وصلت إلى دول العالم أن السائد في عالمنا شريعة الغاب وليس القانون الدولي.

وبالتالي، إنّ من يملك القوة يستطيع أن يفعل ما يشاء، وستكون كثير من الدول الصغيرة نسبياً، التي تبارت في تأييد إسرائيل، أول من سيدفع ثمن عالم تحكمه مفاهيم القوة في غياب ما يسّمونه «القانون الدولي». وقد فهم الشعب الفلسطيني وقواه السياسية بالتجربة المرّة أن سياسات الدول في عصرنا تحكمها المصالح وليس المبادئ.

رابعاً: لا يوجد ما يعادل، بل ويفوق خيبة الأمل من المجتمع الدولي، إلا خيبة الأمل الأكبر من ضعف الأنظمة العربية والإسلامية وعجزها أمام الغطرسة العدوانية الإسرائيلية، وتقاعسها عن القيام بواجبها تجاه شعوبها على الأقل، وتجاه مقدّساتها.

وسيكون لفشلها في إدراك مقولة «أُكلت يوم أُكل الثور الأبيض» تداعيات خطيرة، لكن التداعيات الأكبر ستنجم عن تعمّق الهوة الهائلة بين مواقف هذه الأنظمة ومشاعر شعوبها التي تشعر بعمق الإهانة التي لحقت بكرامتها، نتيجة السماح لحكومة إسرائيل الفاشية بالانفراد بالشعب الفلسطيني والبطش به.

خامساً: خسرت السلطة الفلسطينية، بسلبيتها وانزوائها عن القيام بدورها في مواجهة العدوان، الكثير من شعبيّتها، وتعمقت للأسف هذه الخسارة، باستمرارها في عدم تطبيق اتفاقيات بكين وموسكو لفتح طريق المصالحة والوحدة الوطنية.

سادساً: ليس لدى إسرائيل، بحكومتها ومعارضتها، أي استعداد للسلام، أو للحلول الوسط مع الشعب الفلسطيني، ولا يوجد لديها إلا مشروع واحد، الاحتلال الدائم والاستيطان والضمّ والتهويد.

وهذا المشروع وأد إلى الأبد اتفاق أوسلو ونهجه. وأثبتت إسرائيل أنها لا تفهم إلا لغة القوة، لكن أخطر الحقائق التي أصبحت راسخة، أن المنظومة الحاكمة وغالبية المجتمع الإسرائيلي تسير نحو الفاشية بأسوأ صورها.

سابعاً: لم تكن الولايات المتحدة، ولن تكون، وسيطاً أو طرفاً محايداً، ولو نسبياً، عندما يتعلق الأمر بإسرائيل، فانحيازها مطلق، ولولا دعمها العسكري والمالي والسياسي غير المحدود لإسرائيل، لما صمدت الأخيرة شهراً في حرب الدمار التي تشنها.

ثامناً: من الواجب مواصلة الضغط على محكمتي العدل والجنايات الدوليتين لإصدار أحكامهما، وتنتظر دول غربية كثيرة دعمت إسرائيل بالسلاح والقذائف مفاجآت غير سارة، عندما تُصدر محكمة العدل الدولية حكمها بأن ما جرى في غزّة حرب إبادة جماعية.

تاسعاً: فشلت إسرائيل وستفشل، رغم همجية حربها الدموية في تحقيق أهدافها، فلم ولن تستطيع اقتلاع المقاومة الفلسطينية، ولم ولن تنجح في إحداث التطهير العرقي، ولم ولن تنجح في بسط هيمنتها وسيطرتها أو كسر إرادة الشعب الفلسطيني المصمّم على نيل الحرية.

عاشراً: الصراع الدائر ليس على أمور صغيرة وتفصيلية، كمحور صلاح الدين (فيلادلفي) الذي أصبح قصيدة نتنياهو المملّة، بل على إنهاء الاحتلال والاستيطان ومنظومة الأبارتهايد وكل نظام الاستعمار الاستيطاني الإحلالي الصهيوني. إنه نضال شعب لن ينثني من أجل الحرية والكرامة وحقّ تقرير المصير والسلام العادل.

أحد عشر: أكبر نقطة ضعف فلسطينية، حالة الانقسام الداخلي، وانتصار الشعب الفلسطيني في نضاله العادل مشروطٌ ببناء قيادة وطنية موحّدة على برنامج كفاحي مقاوم لمخطّط تصفية القضية الفلسطينية.

ثاني عشر: نضال الشعب الفلسطيني، وكما توقع نيلسون مانديلا، صار عنوان النضال العالمي بأسره من أجل الحرية والعدالة. وغدت فلسطين قضية العدالة الإنسانية الأولى في عصرنا، وهي تستنهض قوى وطاقات شبابية على امتداد العالم، بما في ذلك الولايات المتحدة، ليس فقط ضد الاحتلال الإسرائيلي وجريمة الإبادة الجماعية، بل من أجل العدالة الإنسانية والاجتماعية في العالم بأسره.

هناك كثيرٌ مما سيُكتب ويُقال على أعتاب الذكرى السنوية الأولى لحرب الإبادة، غير أن معظمه لن يقترب من تقديم الصورة الكاملة لبطولة (وصمود) شعب صار أيقونة لا سابق لها لقيم الإنسانيّة ولصمود كل الشعوب المضطهدة ونضالها.

○ الأمين العام لحركة المبادرة الوطنية الفلسطينية.

دور أمريكا في دعم إسرائيل في عدوانها على الشعب الفلسطيني

بقلم:
د. جيمس زغبي ○

اتسمت العناوين الرئيسية الآتية من فلسطين وإسرائيل بكثير من التشاؤم والمأسوية إلا أنها عناوين متوقعة. وبطبيعة الحال تتمثل المشكلة في أن الحكومة الإسرائيلية تبدو عازمة على أن تجعل الوضع، الذي هو سيئ للغاية بطبيعة، أكثر سوءًا. أما إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن فهي تتصرف كما لو أن ما كانت تفعله على مدى السنوات الثلاث والنصف الماضية هو أمر آخر غير صب البنزين على النار المشتعلة أصلا.

في هذه الأثناء، تواصل الحكومة الإسرائيلية التصرف كما لو أنه لا توجد عواقب لأعمالها وسياساتها واعتداءاتها الوحشية. فهي تأبى أن توقف عدوانها على قطاع غزة وسكانه، ذلك أنها تأمر مرة تلو الأخرى بعمليات إجلاء جماعية تجبر عائلات بأكملها على النزوح من بقعة إلى أخرى.

وقد أدت عمليات القصف التي طالت مختلف مناطق قطاع غزة إلى حدوث نقص حاد في الغذاء والدواء والمياه، وقد أفادت عدة تقارير عن أطفال يموتون بسبب سوء التغذية، فيما تفاقمت حالات شلل الأطفال.

وما لا تستطيع القيادة الإسرائيلية أن تفهمه هو أن تنامي الغضب ومشاعر الألم السائدة على نطاق واسع بين الشعب الفلسطيني لن يؤديا إلا إلى المزيد من المقاومة وتمكين حركة حماس من استقطاب المزيد من العناصر.

وقد واجه الجيش الإسرائيلي على مدى الأشهر القليلة الماضية، مقاتلي حركة حماس وبقية التنظيمات في مناطق شمال ووسط غزة التي ادعت إسرائيل أنه «تم تطهيرها».

ولكن كما تعلمت الولايات المتحدة الأمريكية الدرس البليغ خلال الحروب المتعاقبة التي خاضتها في فيتنام وأفغانستان والعراق، فطالما بقي الغازي الأجنبي فلن يتم «تطهير» أي منطقة على الإطلاق.

وفي الوقت نفسه، تبدو الضفة الغربية على حافة الانفجار. فمنذ عدة سنوات، يقوم الجيش الإسرائيلي وشرطة الحدود بشن هجمات قاتلة تستهدف التجمعات الفلسطينية، ومنذ اندلاع الحرب في قطاع غزة، تسارعت عمليات الاجتياح والاقتحامات والاعتداءات كما أصبحت أكثر فتكا لأنها مصحوبة بقصف جوي.

هذا ليس كل شيء.

لقد عانى الفلسطينيون منذ فترة طويلة من عنف المستوطنين المتطرفين – الحرق والنهب وحتى استخدام القوة المميتة. وقد تسامحت القوات العسكرية الإسرائيلية مع هذه الاعتداءات السافرة، بل شجعتها في كثير من الأحيان، كما تزايدت هذه الاعتداءات من حيث تكرارها وما تتسم به من عنف قاتل.

ومما زاد الطين بلة أن أعضاء الائتلاف الحاكم الذي يقوده رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو انخرطوا في استفزازات، بالقول والفعل، الأمر الذي أدى إلى تحريض المستوطنين المتطرفين وتأجيج المزيد من مشاعر الغضب أو الخوف بين الشعب أبناء الفلسطيني الأسير.

لقد تم إضفاء الشرعية على البؤر الاستيطانية غير القانونية، وتوفير الحماية العسكرية والخدمات الحكومية والأسلحة، وتم ضمها إلى إسرائيل في كل المقاصد والأغراض. وقد قاد أحد الوزراء المتطرفين غزو الحرم الشريف، معلنا نيته بناء كنيس على أرض المسجد الأقصى.

في تلك الأثناء، قال عضو آخر في الائتلاف الحاكم بقيادة بنيامين نتنياهو إن هدف الحكومة يجب أن يكون إخراج الجزء الأكبر من الفلسطينيين من الضفة الغربية، لجعلها أكثر قابلية للحكم.

ويبدو أن كل هذه الأمور مجتمعة كانت بمثابة خير دافع لعمليات التجنيد التي تقوم بها حركة حماس، حيث أفادت التقارير أن الحركة قد نجحت في استقطاب أعضاء جدد ليس فقط في الأراضي المحتلة، بل أيضاً بين اللاجئين الفلسطينيين في لبنان.

وبينما تستمر رقصة الموت هذه، تتصرف إدارة الرئيس جو بايدن بلا أدنى علم، وهي تبحث يائسة عن فتح باب التفاوض من أجل التوصل إلى وقف إطلاق النار، وهو ما يجب أن تعرفه الآن أن حكومة نتنياهو ليس لديها مصلحة في القبول بوقف إطلاق النار.

وبغض النظر عن الكيفية التي تلاعبت بها الولايات المتحدة الأمريكية بالشروط التي تجعل هذا العرض مقبولا لدى الجانب الإسرائيلي (مما يجعلها غير مقبولة ليس فقط بالنسبة لحماس، بل لمصر أيضا)، فإن نتنياهو، الخائف من خسارة حكومته، يواصل إما قول «لا» أو إثارة بعض الغضب كتكتيك لتأخير التوصل إلى صفقة.

في الأثناء لا تزال حكومة بنيامين نتنياهو تتجاوز الخطوط الحمراء الأمريكية وتنتهك القانون الأمريكي، لكن رد إدارة الرئيس جو بايدن هو إرسال الأسلحة وتهديد أولئك الذين يطالبون بالمحاسبة في المجتمع الدولي.

ومن شأن هذا الأمر أن يزيد في تعزيز شعور إسرائيل بالحصانة والإفلات من العقاب، وتأجيج الغضب الفلسطيني، وتقوية مكانة حركة حماس بين السكان الذين يشعرون بالمرارة وخيبة الأمل، فيما يزداد الضرر الذي يلحق بصورة الولايات المتحدة الأمريكية في أعين العالم باعتبار أنها تغض الطرف عن الأعمال الهمجية الإسرائيلية.

إن ما كان من المفترض أن يقتصر على رد انتقامي على هجمات ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، تحول الآن إلى عدوان شامل وواسع النطاق وهو ما سيزيد في إذكاء روح المقاومة من دون أن تلوح أي نهاية في الأفق.

ولا ينبغي لأحد من أي جانب أن يفترض أنه يمكن تحقيق أي نوع من النصر. لقد أصبح المجتمعان الإسرائيلي والفلسطيني أكثر استقطابا، كما أن بئر المرارة الذي تم حفره سوف يستغرق أكثر من جيل حتى يمتلئ.

صحيح أن حركة حماس هي التي شنت هجومها يوم ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، وأن إسرائيل هي التي ردت الفعل وشنت عدوانها العسكري المدمر على قطاع غزة، ولكن الخطأ يقع أيضاً بشكل مباشر على عاتق الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد ظلت سلطات واشنطن، في ظل مختلف الإدارات الأمريكية المتعاقبة، ولفترة طويلة جدًا، توفر الحماية لإسرائيل وتغطي على أعمالها غير القانونية وانتهاكاتها السافرة. ونتيجة لذلك، فقد شجعت الولايات المتحدة الأمريكية بهذه السياسة المتطرفين الإسرائيليين وقضت على قوى السلام الإسرائيلية.

كما تسببت هذه السياسات التي ظلت تنتهجها الولايات المتحدة الأمريكية في إضعاف وتهميش المعتدلين الفلسطينيين وتقوية الأطراف الراديكالية الفلسطينية وتعزيز مكانتهم في الشارع الفلسطيني.

كذلك، ظلت الولايات المتحدة الأمريكية طوال هذا الوقت تكافئ الإسرائيليين، بينما تعاقب الفلسطينيين. فالفلسطينيون هم الذين تطالبهم سلطات واشنطن باتخاذ الاختيارات الصعبة، في حين لا يُطلَب إلا أقل من القليل من الإسرائيليين – وعندما ترفض إسرائيل فهي لا تتحمل أي عواقب، على عكس الفلسطينيين.

ولتغيير هذه الديناميكية، يتعين على الولايات المتحدة الأمريكية أن تعيد النظر في هذه السياسات التي ظلت تنتهجها – وأن تفعل ذلك بشكل كبير. إن اتخاذ قرار بقطع شحنات الأسلحة الأمريكية عن إسرائيل، والذي طال انتظاره، والاعتراف بحق الفلسطينيين في تقرير المصير، من شأنه أن يحدث الصدمة اللازمة للنظام الإسرائيلي، كما أن من شأن اتخاذ هذا القرار أن يفرض نقاشا داخليا في إسرائيل، مما يدعم أولئك الذين يريدون السلام. وقد يكون من المفيد أيضًا إرسال رسالة إلى الشعب الفلسطيني مفادها أن محنته وحقوقه تلقى كل التفهم.

صحيح أن اتخاذ مثل هذه الإجراءات لن تنهي الصراع غدا أو في مستقبل قريب، لكنها بالتأكيد ستضع المنطقة على طريق السلام، وتدخل المنطقة في مسار أفضل من المسار الحالي.

سيقول البعض إنه من غير المرجح أن يتمكن الرئيس جو بايدن من اتخاذ مثل هذه الخطوة، ولكن إذا تمكن من حشد نفس العزم الذي اتخذه للتنحي جانبا من أجل ترشح نائبة الرئيس كامالا هاريس للانتخابات الرئاسية في نوفمبر القادم، فإنه يمكنه أيضا أن يجد الشجاعة الكافية للقيام بذلك.

صحيح أن اتخاذ مثل هذه الخطوات المطلوبة من الإدارة الأمريكية لن تؤدي إلى إزالة الضرر الذي حدث، لكنها ستمهد الطريق لخليفة الرئيس بايدن للتحرك بسهولة أكبر نحو تحقيق السلام بين الفلسطينيين وإسرائيل.

○ رئيس المعهد العربي الأمريكي.

عالم يتغير

من فجرّ الأيديولوجيات المتطرفة والقاتلة في المنطقة؟!

فوزية رشيد

○ ونحن في صدد الإشارة إلى حادث جسر الملك حسين أو معبر الكرامة أو معبر اللنبي، الذي قام به في عمل فردي الأردني «ماهر الجازي» جراء غضبه من مجازر الاحتلال في غزة والضفة! وفي عملية إطلاق نار، أودت إلى مقتل ثلاثة إسرائيليين من قوات أمن الجسر، كان من اللافت والمضحك في آن تعليق «رئيس الوزراء الصهيوني» بأن الكيان (يواجه ويخوض نضالا ضدّ محور الشر الإيراني والأيديولوجيات المتطرفة القاتلة)!

هذا التصريح الذي لا يرى الكيان الصهيوني نفسه في مرآة الحقيقة، وأنه دون غيره متهم من كل شعوب المنطقة والعالم (بأنه رأس الشرّ العالمي وصاحب أكثر الأيديولوجيات المتطرفة القاتلة القائمة على الأساطير الملفقة)! يجد الكيان في لجة أكاذيبه وبناء على ذلك يجد نفسه عاجزًا أمام (حقيقة أن الشعب الفلسطيني هو الذي يخوض نضالا ضدّ محور الشرّ الصهيوني المتمثل في الكيان والذي جعل من إيران بعبعًا وهميًا فيما هو وصهيونيته البعبع الحقيقي! والشعب الفلسطيني أيضًا يخوض النضال ضد الأيديولوجية المتطرفة القاتلة في «النظام الغربي الاستعماري الداعم له والمتبني بكل وحشية الكيان الاستعماري، والداعم لنظام الملالي!

○ من جانب آخر ما يلفت النظر أن الكيان الصهيوني يوعز إلى أن أي عمل مقاوم ضدّه خلفه إيران، رغم أنه يعرف أن إيران تستغل فقط الورقة الفلسطينية للمتاجرة! والسؤال إذا كان الكيان الصهيوني ليل نهار، يرى أن إيران تمثل تهديدًا للأمن العالمي بسبب دعمها لروسيا في حرب أوكرانيا!، فلماذا لا يتوجه الطرفان إلى رأس الأفعى ويقومان بقطعها؟!

لماذا يتم التنسيق في تبادل الضربات العسكرية المسرحية بين الكيان ووكلاء إيران في لبنان واليمن وبالمكشوف وعلى الملأ؟!

لماذا تتم المفاوضات الأمريكية الإيرانية الجارية من أجل تقاسم النفوذ والسيطرة على المنطقة العربية؟!

لماذا يتم الإفراج عن عشرات المليارات في ظل الاتفاقيات المتبادلة بين الطرفين الإيراني والأمريكي؟!

لماذا لا يتم دعم الشعب الإيراني لإسقاط النظام قط؟!

ألا يشعر الكيان الصهيوني ونتنياهو ومعه الأب «الروحي الأمريكي، أن لعبة التحجج بإيران لضرب المقاومة الفلسطينية وضرب العرب باتت لعبة سخيفة ومضحكة ومكشوفة! وهذا يعني أن تبادل الأدوار بين الكيان وإيران في تجسيد الأيديولوجية المتطرفة، وحيث الضحية دائمًا هي الشعوب العربية أصبحت بدورها مهزلة لم تعد تنطلي على أحد!

○ بالمقابل لنسأل سؤالاً جوهريا قد يعود بنا إلى الوراء تاريخيًا حول من الطرف الذي أجج وفجر (الأيديولوجيات المتطرفة) في المنطقة العربية؟! أليس هو الاستعمار الغربي منذ البداية، سواء عبر الحملات الصليبية المتلاحقة، أو عبر احتلال واستعمار دول عربية لاحقًا؟! أو عبر أجندة تقسيم المنطقة العربية «سايكس – بيكو» ١٩١٦؟! أو عبر زرع الكيان الصهيوني في فلسطين وسرقة وطن من شعبه؟! أو عبر صناعة الإرهاب المتمثل في «نظام الملالي» في إيران بعد تنحية الشاه؟! ثم صناعة الإرهاب المتمثل في «القاعدة وداعش» وغيرهما وباعترافات مسؤولين أمريكيين؟! ثم استمرار (الأيديولوجية المتطرفة لقاتلة) في تبني (نظرية الفوضى) واحتلال العراق وأجزاء من سوريا ونشر الفوضى في ليبيا وغيرها، والتنسيق مع (المقاومة الوهمية) اتي تديرها إيران في لبنان واليمن والعراق والسماح لها بالتمدد؟!

○ من إذًا الذي فجرّ «الأيديولوجيات القاتلة» وتبناها وصنعها، أو هيأ ظروف خروجها في (ارتدادات موضوعية) كردة فعل على الاحتلال وعلى «الاستعمار المقنع» وعلى الوحشية الأمريكية في عديد من الدول العربية، وانطلاق الانتفاضة مرتين في فلسطين المحتلة ثم عملية ٧ أكتوبر، التي اتخذها العدو الصهيوني ذريعة لإطلاق حرب الإبادة على غزة لما يقارب العام كاملا! ويتطلع الآن إلى الضفة وإلى توسيع الحدود على حساب الجغرافيا العربية، اتباعًا لأكبر عملية (تطرف أيديولوجي قاتل) في العالم، يعتدي على سيادة الدول وحقوق الشعوب في أراضيها، باسم أن الاحتلال للدول الأخرى هو «وعد إلهي»! هل من تطرف قاتل في الأيديولوجية أكثر من هذا؟!

○ حين يقول «نتنياهو» بعد عملية معبر الكرامة، حسب التسمية الفلسطينية للمعبر إن الكيان الصهيوني (محاط بأيديولوجية قاتلة) فإنه في الواقع ليس فقط يزيف الحقيقة ويقلب المعادلة، بل هو يحاول كعادته استغفال العقول و(رمتني بدائها وانسلت)! لأن الحقيقة أن المنطقة العربية هي المحاطة بالأيديولوجية القاتلة والمتطرفة المتمثلة بشكل تجسيدي منذ عقود في أيديولوجية الكيان الصهيوني، والأيديولوجية الصهيونية العالمية في أمريكا والغرب، بناء على أجندة استعمارية لا يزال أطرافها يتصرفون كمستعمرين وبرؤية استعمارية وبمخططات عدوانية ضد الدول العربية وجغرافيتها وشعوبها! وفي ذات الوقت إن المنطقة العربية محاطة بأيديولوجية إيران القاتلة والتوسعية ضد العرب وليس ضد الكيان الصهيوني!

○ وما الأيديولوجيتان المزروعتان والمتمثلتان في الكيان الصهيوني وفي «نظام الملالي»، إلا وجهين لذات العملة المتطرفة القاتلة! التي تسببت في كل الكوارث التي حلت بالوطن العربي!، سواء منذ زرع الكيان الصهيوني في فلسطين وأجندة التوسع، أو زرع «الملالي» في إيران وأجندة التوسع أيضًا! والحقيقة تقول إن الطرفين اللذين يتبادلان الاتهام، فيما هما يتبادلان التخادم والأدوار، هما الأيديولوجية القاتلة التي تتخادم ضد شعوب المنطقة وليس ضد بعضهما البعض! وشر البلية ما يضحك!

اللغة العربية بين غياب المسؤولية وضعف الانتماء

بقلم:
د. طارق عباس

منذ وقت ليس بقليل، والحديث يدور عن الأزمة الخطيرة التي تعانيها اللغة العربية، سواء لتراجع مستواها وعدم تقدير أهلها لها وانصرافهم عنها، أو بسبب عدم وجود إرادة سياسية تدرك أهمية وقيمة التعاطي الإيجابي مع المشكلات التي تواجهها اللغة وكيفية حلها.

ورغم خطورة أزمة اللغة وما أدت إليه من انعكاسات سلبية على الفرد والمجتمع «ثقافيًا وأخلاقيًا ودينيًا»، فلا تزال تلك الأزمة تتفاقم وتتفاقم لتبتعد اللغة العربية –رويدًا رويدًا– عن عقول وقلوب الناس وتفارق مكانتها اللائقة بها والمستحقة لها لتحل محلها وسيلة تعبير، لا هي لغة ولا هي غير لغة، لا هي عربية ولا هي أجنبية، وإنما هي هجين من رموز ومفردات وعبارات مكتسبة، تُكتَب فيها الكلمات باللاتينية والإنجليزية وبالأرقام أيضًا، وتحاكى ألفاظًا مولدة من الشارع وسلوكياته وعاداته، وهي في الغالب معبرة عن فئة معينة من الشباب، بينما تفصلها في الوقت نفسه عن بقية المجتمع، الذي اختار لنفسه مستوى آخر من اللغة، قد يكون أشد التزامًا بتقاليدها، لكنه أبعد إحساسًا بها وبأهميتها وقيمتها.

في ظل هذه الآليات المتناقضة من وسائل التعبير اللغوي المهجنة، يغرق المجتمع العربي في متاهة العجز عن استكشاف نفسه والتعبير عن هويته، ويعتقل نفسه طواعية إما في لغة أجنبية يتعلمها، رغبة في التميز العلمي والعملي، أو في لغة عربية مهترئة وممتلئة بأصوات وألفاظ غريبة وغربية، تمزق المجتمع العربي وتشرذم علاقاته لتجعلها قائمة على أساس طبقي، الأعلى فيه لمَن يمتلك حظًا وافرًا لأي من اللغات الأجنبية، وللأسف كلما كنت عارفًا بها ففرص العمل أمامك بلا حساب، وأبواب المجتمع مفتوحة لاحتضانك والفخر بإنجازاتك، وهنا مكمن الخطر لأن لكل لغة وطنًا، ومَن لا يحترم لغته لا يعتز بوطنه الذي ينتمي إليه ولا يعنى بشؤونه.

ولا يختلف اثنان في أن انهيار الإحساس بالانتماء كان بمثابة أول خطوة في طريق السقوط اللغوي، خاصة بعد أن تراجعت المنطقة العربية برمتها «اقتصاديًا واجتماعيًا» وباتت متأثرة بصراعات إقليمية ودولية.

وعندما تهون الأوطان سوف تهون اللغة، وعندما تغيب الثقافة فمَن الذي سيفكر في اللغة، ومن أين ستأتي الغيرة عليها؟

إن الجهود المبذولة لحماية اللغة العربية طيلة السنوات الفائتة لم تؤت ثمارها ولن تؤتيَ لأنه رغم مصداقية بعض مَن يبذلون تلك الجهود عندما وضع أبو الأسود الدؤلي «علم النحو» كان ذلك بتوجيه أعلى رأس في الدولة العربية الإسلامية، وهو الخليفة «على بن أبي طالب» كرم الله وجهه ورضي الله عنه ،لما استشعر المخاطر التي تهدد اللغة العربية وهويتها، بينما نجد الآن الكثيرين ينصبون الفاعل ويرفعون المفعول ويجرون الساكن ويسكنون المجرور ولا يقدرون على صياغة جملة باللغة العربية السليمة، الأمر الذي يؤكد أن اللغة – رغم كونها أهم ركائز المجتمع العربي وسر وحدته المفترضة وهمزة الوصل بين أقطاره – لا تزال تفتقد للداعم الأكبر حسبما اعتادت مجتمعاتنا هنا فقط ستجد اللغة حراسًا لها يحمونها من الوافد والدخيل، ويحفظونها كلغة مقدسة نزل بها القرآن الكريم، وعندما يدرك الشباب أن الوطن بالنسبة إليهم هو الأولى والأهم ستكون اللغة في مقدمة اهتماماتهم، فترى هل سيأتي مثل هذا الزمن؟!

النجاح في قتل أي أمة لن يتأتى إلا بتدمير ونسف لغتها، وتلك حقيقة وعاها الاستعمار جيدًا، لذلك استبدل باحتلاله الأرض احتلال العقول والضمائر، واستعاض عن استعمال القوة المسلحة الغاشمة في مواجهة الغيورين على الأوطان بمحاربته تراثهم وتاريخهم وهويتهم وإصراره على تغييب وعيهم ومسخ أفكارهم وتحقيره أشرف ما يملكون في حياتهم «اللغة»، وعاء الذكريات والخبرات والتجارب وهمزة الوصل لتعلم الدروس من الماضي والوعي بالحاضر وفهم المستقبل، فباللغة يتكلم أبناء المجتمع الواحد، ويعبرون عن أحلامهم وطموحاتهم، وبها يمكن مقاومة العولمة الزاحفة بكل طغيانها نحو تدمير المعتقدات والثوابت ودفن الثقافات المحلية تحت قطار الثقافات الوافدة.

نتيجة لذلك، سقط الضعفاء في الفخ، ومنهم كان العرب الذين وقفوا متفرجين على لغتهم وهي تُحارَب وتُشوَّه وتُزيَّف وتُمتهَن وتُحوَّل إلى لغة أجنبية في عيون المتحدثين بها، ويبدو أن هؤلاء لم يدركوا أن إتقان اللغات الأخرى مرهون بإتقان اللغة الأم، وأن الإبداع باللغات الأخرى لا بد أن يكون نتيجة الارتباط الوثيق باللغة الأم.

فمثلًا الشاعر جبران خليل جبران عندما يكتب بالإنجليزية يأخذنا لروعة وجمال جبال لبنان، وتوفيق الحكيم عندما يترجم مسرحية من الفرنسية إلى العربية، يضيف إليها من روحه، ويجعلنا نشعر وكأنها بخطوط وألوان مصرية عربية، أما حالة التغريب التي تعيش فيها اللغة العربية الآن – كما سبق أن أشرت – فهي بفعل فاعلين، مستعمرين وعملاء مستعمرين، هدفهم الأول والأخير تحقير هذه اللغة وتهوينها في عيون أبنائها، بل إثبات قصورها وعجزها عن مواكبة تطورات العصر ومتطلبات العلم والبحث العلمي والتكنولوجي، ونتيجة تكثيف الحرب على اللغة واستمرارها فترات طويلة، تصور الحمقى أن اللغة العربية باتت المرادف المشروع للتراجع العلمي.

إن اللغة العربية كنز لا مثيل له بحكم غزارة مفردات تلك اللغة وقدرتها على التعبير، وما تحويه من مدركات صوتية وصرفية ونحوية وجذور لغوية اشتُق منها أكثر من ١٢ مليون مفردة، ولعظمة اللغة العربية وقيمتها اختارها الله لغة لقرآنه العظيم، إن الفرق بين اللغة العربية وغيرها من اللغات أنها – أي اللغة العربية – ضاربة بجذورها في عمق التاريخ، فلا يُعرَف لها مولد، ولا يُتوقع لها شيخوخة، يُقال إنها لغة أهل الجنة، ويُقال إنها لغة آدم، عليه السلام.

في الوقت الذي تجذب فيه اللغة العربية إليها المتعلمين لها من كل صوب وحدب، ينفر منها أهلها، ويحطون من شأنها، وبهذا نجح الاستعمار في فرض مخططه والتسويق لرؤيته، وابتلع العرب الطُعم، وهاموا في غربة، اختاروها بإرادتهم، واستَلَذّوا العيش في كنفها، وبهذا لا هم حَمُوا لغتهم، ولا هم أجادوا لغات الآخرين، ولا هم قاوموا مَن غرّبهم، ولا هم عاشوا مُعزَّزين مُكرَّمين، إنها مأساة أمة.